**السماء ذات الحبك**

مفاهيم وأسرار فلكية كونية في القرآن الكريم

أ . د . حميد مجول النعيمي

صدر قبل أكثر من شهر عن (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ) كتابا علميا وروحيا تحت عنوان: (**السماء ذات الحبك**) لمؤلفه عالم فيزياء الفضاء الفلكية العربي الأستاذ الدكتور حميد مجول النعيمي مدير جامعة الشارقة ومؤسس ورئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك منذ عام 2004 وحتى الآن.

وسيكون لهذا الكتاب المكون من جزئين، شأن كبير على المكتبة العربية، وذلك لأنه يبحث في مفاهيم وأسرار فلكية كونية في القرآن الكريم، بفكر عالم متخصص في علوم فيزياء الفضاء الفلكية على المستوى العالمي، وقلب مسلم عامر بالإيمان واليقين، حيث سيرفد هذه المكتبة بعلوم فلكية تحدث عنها كتاب الله المبين (القرآن الكريم) وفق معايير علمية قل من بحث فيها أو تطرق إليها بهذا القدر من الموضوعية العلمية الرصينة.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه الجليل: عندما أفكر بالكون ومحتواه (السماء والسماوات والمجرات والنجوم والكواكب والمادة والطاقة...) أجد نفسي أربط الظواهر الكونية العجيبة بآيات القرآن الكريم الدالة على خلق الله سبحانه وتعالى وعظمته، فترتسم في ذهني - عملياً وعلمياً - مئات الصور التي تشد العقل إلى العلم من جهة، وإلى النص القرآني العظيم من جهة ثانية. ولكن ليس من منطلق المقابلة التفسيرية المجردة أو المكافأة التأويلية المرجحة فحسب، بل وعلى أساس تحديد العلاقة بين الثابت والمتغير في الشكل والجوهر ثم في الشكل إزاء الجوهر.

ويقول أن النص القرآني يحمل مزية تلاقي الشكل بالجوهر من حيث ظواهر الإعجاز: في اللغة، في البيان، في الأرقام، في العلوم، في الطب، في التكنولوجيا ، في خلق الكائن الحي، في الكون ومحتواه، متسائلا كم من كلمة قرآنية يحسبها قارئها بفهم وهي ليست كذلك، لأن معيار القارئ هذا هو الدارج بين الناس في وقته وبلده ، وليس المدلول الذي يهدف إليه القرآن الكريم فعلاً. ويسوق لذلك مثلا فيقول: كلمة " النحاس" أو كلمة من نوع "سائحات" أو "نجم" تدخل مسامع الناس مدخلاً مطروقاَ ومعروفاً وليس "دخان من غير نار" بالنسبة إلى النحاس وصائمات أو مهاجرات بالنسبة إلى سائحات وشجيرة من غير ساق بالنسبة إلى نجم مع بقاء المعاني الأخرى غير ممنوعة.

ويضيف: وما أكثر الآيات البينات في كتاب الله تعالى التي تدعو الى التفكر والتفكير والتي تؤكد على الإنسان في هذا المقام أن يُعمل التفكير بجميع حالاته: (فكَّر، وتتفكروا، وتتفكرون، ويتفكروا، ويتفكرون) مستعرضا عددا من الآيات الكريمة التي حضت على فعل ذلك، ويتساءل هنا، كيف يتم التفكر أو يصير؟ ولماذا ؟ وماذا بعد التفكر في ( يتفكرون )؟ أهو بالتفكير العقلي المجرد أم بالتفكير العلمي التجريبي؟ أم بهما معاً ؟ معربا عن إيمانه بأن التفكير يكون بهما معاً تحت الإيمان الراسخ بالله جلت قدرته.

ويضيف: في كتابنا هذا استهدفنا علوم فيزياء الفلك والكون (أو بما تسمى بعلوم الفيزياء الفلكية الفضائية) تحت دافع التخصص، وانتهجنا الفكر والتحليل تحت الحاجة إلى المنهج، واستظللنا النص القرآني الكريم نبراساً يكشف عن سلامة التشخيص وصواب المعنى، لأننا تدبرنا كثيراً في أقواله سبحانه وتعالى فوجدناها تحمل إشارات كونية فلكية جديرة بالإثارة والدراسة المعمقة الدقيقة استرشادا وتيمناً بقوله تعالى: "..وَنَـزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" (النحل 89) ، وقوله تعالى: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا"  (الإسراء 89).

ويؤكد المؤلف بأن العلوم الفلكية الفيزيائية والفضائية من العلوم المعاصرة دائماً ووصلت الى درجة عالية جداً من الدقة بكل ما يتعلق بحركات محتوى الكون من مختلف الأجرام السماوية من مجرات وسدم ونجوم وكواكب وغيرها، ومعرفة مواقعها وخواصها الفيزيائية وتطورها وبخاصة الأجرام السماوية القريبة مِنَّا مثل الشمس والقمر والمريخ والزهرة ومعرفة مواضعها ونسبة بعضها إلى بعض في كل لحظة من لحظات الزمن بصورة قطعية لا تقبل الشك، وفي الوقت نفسه فإن هذه العلوم (الفلكية الفيزيائية والفضائية) ليست بعيدة عن النص القرآني، ولكن درجة القرب لا يمكن تحديدها من غير عمل متصل ومترابط، بل مصنف ومتدرج. ولاشك أن القرآن الكريم هو كتاب الله المقروء، والكون هو كتاب الله المنظور، وبالرغم من أن كلمة الكون غير واردة في القرآن الكريم، فإنَّ مرادفاتها مثل السماء والسماوات مذكورة في أكثر من سورة بشكل يفسر الدقة والحساب والمحتوى، فضلاً عن ذكرها بشكل متلازم مثل "السماوات والأرض" و"الشمس والقمر" و"الليل والنهار" و"الشمس و القمر والنجوم" وهكذا نجد الدقة المتناهية المنسقة .

ويقول بالنسبة للعلوم عامةً والفلك والجو خاصةً فقد احتلت - بمختلف تخصصاتها وفروعها - منزلة رفيعة في الإسلام، ونال العلماء من المكانة والتقدير ما لم يبلغوه في دين آخر، إذ تميز الإسلام بالنظرة الشاملة الكاملة للكون بكل محتواه المادي والحسي والروحي، وكما ذكرنا فإن القرآن الكريم غني بالإشارات والدلالات الدقيقة على الكون وما يحتويه من مختلف الأجرام السماوية من: سدم ومجرات ونجوم وكواكب وأقمار ، وبخاصة الشمس والقمر ، فلا يتقدم جرم على آخر ولا يتأخر عنه، وكل منهم ، صغيراً كان أم كبيراً ، في حركـة دائمة مستمـرة ، ولكلٍ مـداره (فلكه) الخاص به والسرعة المناسبة له مستشهدا على ذلك بقوله تعالى:"لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" يس 40

وأن جميع الأجرام السماوية بمختلف أنواعها وأشكالها وكل ما خلقه الله سبحانه تعالى في حركة دائمة وفي مدار خاص بها: "وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ..."، وهنـاك من الأجرام ماله ضياء (النجوم بما فيها الشمس) وأخرى لها نور (القمر والكواكب):"هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ" يونس 5، وقد أدركت الأمم منذ القدم الدقة المتناهية لمواقع النجوم وحركة الأجرام السماوية فاهتدت بها في ظلمات البر والبحر وبناء الصروح الكبيرة والضخمة مثل الاهرامات وحتى في صلواتهم لتحديد مواعيد العشاء والفجر مستشهدا على ذلك أيضا بقوله تعالى:"وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" )النحل 16)، "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"  (الأنعام 97).

 ويضيف: كما استرشدت الأمم بالنجوم في وضع تقاوميها، إذ اعتمد بعض هذه الأمم على حركة الأرض حول الشمس، والبعض الآخر على حركة القمر حول الأرض "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" البقرة 189، من هنا كانت عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً، و ارتبط الحج بأشهر معلومات "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ .." البقرة 197، ونظم أمر التربص والعدة بعدد من الأشهر "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا" البقرة 234.كما أقسم الله سبحانه وتعالى بمواقع النجوم وليس بالنجوم نفسها: "فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ" (الواقعة 75 و76).

 ويوضح المؤلف في مقدمة كتابه: معروف لدينا فلكياً أن النجوم التي نراها اليوم ليست وليدة اليوم، وإنما نراها ونرصدها وندرسها وهي موجودة قبل مدة من الزمن، حسب بعدها عنا بعدد كبير من السنوات الضوئية، فمثلاً عندما نرصد اليوم نجماً على بعد 5000 سنة ضوئية، فإننا ندرس خواص هذا النجم وهو قبل 5000 سنة وليس الآن، بمعنى أن الذي نراه و نرصده وندرسه اليوم قد يكون غير موجود وقد تغيرت خواصه وقد لا يكون للنجم أي أثر. لذلك نجد أن علوم الفلك من العلوم التي أولاها العلماء العرب والمسلمون عنايتهم الفائقة، وبحثوا في الطرق والأساليب والقواعد الاستدلالية والبرهانية المستخدمة في علوم الهندسة والحساب والجبر والفلك والطب. وقد كان لمناهجهم العلمية البحثية وابتكاراتهم آلات الرصد وإقامتهم المراصد، أكبر الأثر في تطور العلوم بشتى أنواعها، وما الأسماء العربية للنجوم ومجموعاتها المستخدمة حتى يومنا هذا في الرصد والخرائط الفلكية السماوية إلا شاهد على إبداع العلماء المسلمين وبقاء بصماتهم إلى اليوم، وانطلاقاً من المتطلبات التشريعية والتنظيمية والمعاشية، فقد عني المسلمون من الفقهاء وعلماء الرياضيات والفلك والفيزياء بحركة الأجرام السماوية وبخاصة الدورة الاقترانية للقمر التي يذكرها القرآن الكريم في آيات عديدة، ومنها قوله جلت قدرته: "....وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ...." لقمان 29 ، "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" يس 39.

لذلك اشتمل هذا الكتاب على موضوعات وفيرة عن الكون (السماء والسماوات) ومحتواه من المجرات والنجوم والكواكب والسدم وموقع الأرض بين الكواكب وموقع المجموعة الشمسية في هذا الكون، كل ذلك حسب دلالات الآيات القرآنية مستنبطة بمقتضى الدراسات الفلكية الكونية الحديثة، ويعلم الجميع أن الإسلام كان ولا يزال منطلقاً علمياً رائداً، ودافعاً للعلوم والتكنولوجيا عامة، ولعلوم الفلك والكون والفضاء خاصةً، راسماً منهاجا ًعلمياً دقيقاً للمسلمين للغوص في بحور هذه العلوم بغية المنفعة العامة للمسلمين في تأدية فروضهم ومناسكهم من جهة، والتفكر في خلق السماوات (الكون المرئي والحقيقي) تعزيزاً لإيمانهم بالله عز وجل من جهة أخرى.

ويعدد رئيس ومؤسس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك دوافعه للكتابة بهذه الموضوعات فيقول: إن من أهم هذه الدوافع:

1. إن الله سبحانه وتعالى أمرنا وفي كثير من الآيات المباركة في القرآن الكريم، بالتفكر في خلق السماء والسماوات والأرض ومحتوى الكون بمختلف أجرامه السماوية ونظامها وحركاتها وخواصها ونظمها المعقدة والموزونة في الوقت نفسه، فضلاً عن التمعن بكوكبنا (الأرض، قارتنا السكنية) وغلافه الجوي وسطحه ومحيطه الحيوي ويابسته وبحاره وباطنه واختلافه عن الكواكب الأخرى وموقعه في المجموعة الشمسية وفي مجرة درب التبانة، وكيف جعله موطناً وفراشاً قائماً بحد ذاته ويستشهد على ذلك بآيات الله تعالى:(وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ) ، (الرحمن 55)،"ولَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"الأعراف24، ليستدل الإنسان بهذه الظواهر السماوية على دقة صانعها وعظمة وإبداع الخالق جل جلاله. "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ"  آل عمران 190.
2. ثم ان متابعة التقدم العلمي والتكنولوجي في علوم وتكنولوجيا الفلك والفضاء والجو والاكتشافات المستمرة في الكون ومحتواه والبحث عنها في آيات القرآن الكريم وإظهار ما استجد لدينا من نتائج علمية دقيقة حصلنا عليها من خلال البحث العلمي المتواصل، والبحث عن أسرار هذا الكون الواسع وسماواته السبع وتوجيه الطاقات لخدمة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية.
3. كما أن حال الأمة الإسلامية من الاختلاف في الحسابات والتطبيقات الفلكية في الشريعة الإسلامية، مثل: حساب مواقيت الصلاة وتعيين أوائل الشهور العربية الهجرية بين الدول الموزعة على سطح الكرة الأرضية، وبخاصة عند تعيين مواقيت المواسم الإسلامية ذات العلاقة بالعبادات (رمضان وشوال وذي الحجة) ، إذ يبدو هذا الاختلاف واضحاً بين حين وآخر لدى دول الأمة الإسلامية، وهي الأمة المعروفة بعراقتها في التقاويم والمشهورة برياديتها في علوم الطبيعة والفلك والفيزياء والرياضيات والطب وغيرها، ومازالت بصماتها واضحة إلى يومنا هذا في مجالات هذه العلوم، وقد يكون الاختلاف طبيعياً، بسبب تباعد المواقع الجغرافية على سطح الأرض، وفي ذلك شيء من المنطق، لا غبار عليه، ولكن عندما يكون الاختلاف نتيجة عدم دقة الحساب، أو التوهم بالرؤية، فذاك أمر يجب الاحتياط له والأخذ بأسباب العلم وسيلة لتوثيقه واعتماده .
4. الاختلاف في مواعيد الأذان لمواقيت الصلاة في المدينة الواحدة و قد يكون هذا الاختلاف ناتجاً عن طريقة حساب هذه المواقيت، سواء كانت علمية أم فقهية، لذلك لا بد من استخدام الطرائق العلمية الفلكية الرياضية الدقيقة لحساب مواقيت الصلاة في كل موقع معلوم فيه خطوط الطول و العرض، آخذين بعين الاعتبار انكسارات ضوء الشمس في الغلاف الجوي الأرضي، وارتفاع أو انخفاض أي موقع عن مستوى سطح البحر، وقد وجدنا في العديد من المساجد اختلافاً ليس بالقليل في اتجاه القبلة، وقد يكون اختلافاً عن اتجاه القبلة الصحيح ، لأن اتجاه البوصلة يعطي اتجاه القطب المغناطيسي الأرضي الذي يختلف قليلاً عن القطب الجغرافي، أو باستخدام الطرائق العامة لتعيين الاتجاه، مثل اتجاه طلوع (شروق) أو غروب الشمس، وهذه الطريقة هي الأخرى قد تكون خاطئة في تحديد الاتجاه، لذلك كان من الضروري أن نحسب اتجاه القبلة بالطرائق العلمية الفلكية الدقيقة، وتوضيح تلك الطرائق لتكون بمتناول يد كل مسلم.
5. قلة الكتب والمؤلفات والدراسات الدقيقة الشاملة التي صدرت وتحدثت في مثل هذه الموضوعات (الإعجاز القرآني في الكون) في مقابل بعض من الكتب والمقالات التي وقعت في مطبات وأخطاء غير مقبولة ، فضلاً عن عدم التزام الكثير منها بشروط التفسيرات العلمية الصحيحة التي تأخذ بحقائق العلوم الموثوق بها من خلال ربط آيات القرآن الكريم وبالحقائق العلمية. وهناك مؤلفات وتوصيات مؤتمرات وندوات أو دراسات علمية وفقهية عديدة في هذه الموضوعات لكنها لم تجمع بين فروع الحسابات والتطبيقات الفلكية التي تخدم الشريعة الإسلامية والإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ كان أغلبها يتناول موضوعاً واحداً فقط، ومن الضروري جداً جمع هذه الفروع والأجزاء الفلكية كافة في مشروع شامل ومتكامل يتميز بالدقة الشرعية والعلمية والبساطة في الكتابة، ليكون في متناول العامة من الناس .
6. القرآن الكريم، كلام الله سبحانه وتعالى الموحى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء بلسان عربي مبين، هو كتاب الله ذو المعجزات المتجددة في كل زمان ومكان، ولكل جيل، ومهما تطورت العلوم والتكنولوجيا، ومهما تجددت الاكتشافات والابتكارات، نجد أن القرآن الكريم مواكب لهذه التطورات والمستجدات حتى لو بعد عشرات أو مئات أو آلاف الأجيال المتواردة والسنين القادمة.

ويوضح مدير جامعة الشارقة قائلا: القرآن الكريم حمّالُ أوجه، أصدق وصفٍ بصدد النص القرآني العظيم، يجاوز به الوجوه والنظائر بتعدد المعاني للكلمة الواحدة، ويتسامى به على تعدد الكلمات للمعنى الواحد، بل يحيط بالفرع العملي حيثما انتقى العلم وسائل إنجازيّة مستحدثة ويحيط بالمستوى المعرفيّ حيثما اصطلحت المعرفة توجّهات غائيّة مشتركة، أما الانتقال بالعلم والمعرفة إلى القرآن نصّاً فممكنٌ وعزيز، وأما الانتقال من القرآن نصّاً إلى العلم والمعرفة فجائزُ أيضا ومثيرٌ، ما دام الإيمان الصادق يعمُرُ القلوبَ والبحثُ الرصينُ تحت ظلّه يستكين!، ثم ان النص القرآني هو نص مفتاحي يَقودُ ولايقاد ، ويَدُلُّ إلى ولا يُدَلُّ إليه من الجديد. وقد نزلت آيات كتاب الله القدير ومجموعها 6236 آية ، وكتبت كلها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الوحي، ورتبت هذه الآيات – حسب التوجيه الإلهي - في مائة وأربع عشرة سورة، باللغة العربية. فالقرآن الكريم هو الكتاب الكوني السماوي الوحيد الموجود بين أيدينا جميعاً على مدى الـ **1436** سنة ماضية ولغاية اليوم ، محفوظاً باللغة العربية بصفائها ونورانيتها المشرقة. وسيبقى القرآن محفوظاً حفظاً مطلقاً غير مقيد بزمن ، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر 9، أي أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم وتكفل بحفظه:(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا) النساء 82.

ويؤكد الأستاذ الدكتور حميد مجول النعيمي أن الكون هو كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر" القمر 49، وأن الدراسات الحديثة تشير إلى أن الكون المرئي الذي بدأ قبل 13.78 مليار(ألف مليون) سنة تقريباً منذ لحظة الانفجار الكبير (الفتق الكبير) يحتوي على ما يقارب مليار حشد مجري، وكل حشد مجري يتألف من 100 – 150 مجرة (والفضاء بين الحشود المجرية وبين المجرات وبين النجوم نفسها مملوء بالأنسجة الخيطية من الغازات والأتربة الكونية بمعنى لاوجود للفراغ في الكون لأنه محبوك ومملوء بالمادة والطاقة:" (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ")، إن هذه المجرات مختلفة في حجومها وعدد نجومها وكواكبها، فإنها تتراوح بين المجرات القزمة إلى المجرات العملاقة. تحوي المجرات القزمة على ما يقارب عشرة ملايين نجم بينما تحوي المجرات الضخمة على ما يقارب 1000 مليار نجم (علماً أن مجرتنا درب التبانة تحوي على 100 – 200 مليار نجم) وبذلك يقدر عدد نجوم الكون المرئي بحدود 30000 × مليون × مليون × مليون (3 × 1022) نجم تقريباً .

ويقول أيضا أنه من المعروف فيزيائياً وفلكياً أَنَّ الكون في الوقت الحاضر في وسع، وهذا الوسع في تسارع: ""وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ " الذاريات47 ، أما بالنسبة إلى مستقبل الكون فإن الدراسات والأرصاد الفلكية تشير إلى أن النجوم تولد من الغازات الخفيفة والتربة المنتشرة في فضاء ما بين النجوم، ثم تموت هذه النجوم بعناصر ثقيلة وتتحول إلى أقزام بيضاء أو نجوم نيوترونية أو ثقوب سوداء حسب كتلة النجم "فالصغيرة منها مثل الشمس تتحول وتموت كأقزام بيضاء أما الكبيرة فتتحول وتموت كنجوم نيوترونية أو ثقوب سوداء" ، وهذه الأجرام السماوية وبسبب جاذبيتها الكبرى فإن القريب من بعضه من البعض يتصادم ويتجاذب، وستأكل وتبتلع المواد التي حولها وتتحول إلى ثقوب سوداء كبيرة وذلك يزيد من كثافة الكون (علماً أن كثافة الكون حالياً = 30% تقريباً من كثافة الكون الحرجة (والكثافة الحرجة هي الكثافة التي يتوقف عندها تمدد الكون)، فإذا كبرت كثافة الكون وزادت لتكون أكبر من الكثافة الحرجة فإن الكون يصل إلى أقصى حجم له، ويتوقف عن التسارع والتمدد ثم يعود الى الانكماش والتقلص وحينئذٍ إلى الانسحاق والتكدس ، ثمَّ يتكاثف و يسخن مرة أخرى ليعود إلى ما كان عليه سابقاً، و هذا ما يسمى بالتقلص والتكدس أو الانسحاق الكبير ( Big Crunch ) او (الرتق الكبير) ، أي عملية (رتق الفتق)، إعادة الكون إلى ما كان عليه سابقاً قبل الفتق أي ينطوي الكون على نفسه: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ "الأنبياء 104، ولقد صدق الله سبحانه وتعالى عندما قال في كتابه الكريم:"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ" الأنبياء21.

ويضيف أن القرآن الكريم أشار إلى الكون وظواهره ومحتواه من مختلف الأجرام السماوية في أكثر من 40 سورة من سوره البالغ عددها 114 سورة. وقد أفاض بذلك المتحدثون من العلماء والباحثين في أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، إذ فيه الإعجاز اللغوي، التاريخي، البياني، النظمي، التركيبي، الدلالي، التعبدي، الأخلاقي، الاقتصادي، الإداري، الطبي والصناعي، العلمي والتقني (العلوم الأساسية والاجتماعية والأدبية والتاريخية والتربوية)، العددي والرقمي (الرياضياتي)، الصوتي والضوئي، فضلاً عن الإعجاز في الطبيعة وفي الكون وفي المادة والطاقة التي هي موضوعات بحثنا ودراستنا في هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

وقد استعنا في هذا الكتاب بالقرآن الكريم إذ تدبرنا كثيراً في آيات الله سبحانه وتعالى فوجدناها تحمل معلومات جديرة بالبحث المعمق من جهة ، مسترشدين بقوله تعالى: "وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" النحل 89، وكذلك في قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا" الإسراء 89، من هنا وجدنا أن العلوم الفلكية الكونية والجوية ليست بعيدة عن النص القرآني، ولكن لا يمكن تحديد درجة القرب من غير عمل متصل ومترابط، بل مصنف ومتدرج، فكان هذا الجهد المتواضع، وأي جهد آخر متوقع، فإنه لا يبلغ الكمال في إعداده ولن يستطيع، إنما حسبه الغور والاتساع في ثلاثية النص القرآني والفكر والعلم وكان عملنا في سبيل الله وابتغاء رضوانه، فعندما نبدأ بتأمله ومناقشة تفسيراته ثم مراجعة بيانات ومعطيات علوم الفلك وفيزياء الفلك والجو، قديماً وحديثاً في مؤلفات لنا منشورة مع التعديل حسب الحاجة، يتيسر لنا تحديد المشكلة على نحو دقيق وتحليل أبعادها واستنباط معالجاتها من خلال مناقشة جامعة، وعلى الرغم من هذا الجهد فإن الطبيعة الإعجازية الكونية في القرآن الكريم غالبة على أمرها، فإذا لم نتوصل إلى فهمه فإن عدم الفهم يمثل قصوراً في الفعل الإنساني، وإن تعدد أوجه معانيه ونظائره يُعَّد طريقاً سالكة لمزيد من البحث والنقاش والتقصي، أما ما نقترح إضافته أو تعديله فإنه يكون حسب نواميس ومعايير لا تخرج عن سياق الموضوعات المبحوثة، وفي الوقت نفسه تبقى في حيثياتها معززةً لإعجاز فهم النص القرآني العظيم، أما ما يبقى مجهولاً على نحو كلي أو من طبيعة الكليات أو على نحو جزئي أو من طبيعة المستحيلات فإن أمره إلى الله، إن أراد كشفه لعباده، وتلك مشيئة في الزمان والمكان اللذين يريدهما الله تعالى، وإن أراد حجبه إلى يوم الدين فهو القادر على ذلك، وليس من نهجنا في كل الأحوال أن نفترض ما لا يتفق مع النص أولاً ولا يقره المنهج العلمي الرصين ثانياً، لكي لا نحشر هذا الجهد مع ما سبقه من جهود غلبت عليها السرعة والحماس وغابت عنها أمور كثيرة، أولها الهدف الذي نريده هنا وهو الانتهاء إلى فرضية (فقهية – علمية) محددة في النظرة إلى الكون.

وينتهي المؤلف إلى التأكيد على أن هذا الكتاب سيكشف عن وجود الكون وأجرامه السماوية وخواصها وحركاتها في القرآن الكريم، ليس بهدف الكشف عن إعجاز القرآن الكريم فحسب، بل ولغاية منح العلوم الفلكية والفضائية والجوية آفاقاً لا تنفصل عن الإيمان بوصفه جذراً متأصلاً لكل علم أيضاً. وفي سير هذا الجهد المتواضع لا ننكر الصعوبات الجمة التي تواجه مثل هذه المنهج ولا نتنكر لأفضال المفسرين السابقين والحاليين الأخيار في هذا الصدد، إلا أننا لا ندعيّ جديداً بغير استحقاق إن قلنا إن الحماس والمحبة وحدهما لم يعد أيّ منهما يسد حاجة قائمة أو ملحة في منح الكلمة القرآنية العظيمة مدلولها حتى آخر ما يستطيع العقل المدّبر في هذا العصر وفي كل العصور، وإننا لنظن بسلامة نهجنا هذا وصوابه، وللقارئ الجليل أن يشارك هذا الرأي بالطريقة التي يراها مناسبة.

وينتهي الأستاذ الدكتور حميد مجول النعيمي مدير جامعة الشارقة ومؤسس ورئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك إلى القول: أتمنى أنني وفقت بالكتابة والبحث والإعداد في هذه الموضوعات المهمة الدقيقة بالشكل الذي يرضاه الله عز وجل خدمة للعالم الإسلامي والشريعة الإسلامية، وأدعو الله تعالى أن يوفقنا والقراء الأعزاء إلى الارتقاء بما يسمو بكلمته في الدنيا ويسبغ علينا جميعاً نعمة عفوه ورضاه في الآخرة.

يشتمل الفصل الأول من جزء هذا الكتاب الأول على بحث واسع في السماء والسماوات في القرآن الكريم، أما الفصل الثاني فيشتمل على محور الأرض وغلافها الجوي وموقعهما في القرآن الكريم وفي الكون الفسيح، من حيث تكون الأرض وموقعها في المجموعة الشمسية، ثم الأرض وموقعها ومزاياها في القرآن الكريم وفي الكون من حيث جمال الأرض ومزاياها في حماية الكائنات الحية التي تعيش على سطحها وغلافها الجوي، والظلال والسرابيل على سطح الأرض وحولها وفي أجوائها، وكروية الأرض في القرآن الكريم وزلازلها جيولوجيا ورياحها وسحابها وأمطارها وغلافها وأعاصيرها ومرتفعاتها الجوية، كما يبحث الفصل الثالث في منازل القمر وخواصه ومميزاته وفوائده وخواصه الفيزيائية والهندسية وإنشقاقه في القرآن الكريم وفي الكون، كما يبحث في الأشهر والسنوات القمرية والشمسية (هجرية وميلادية)، وفي الأهلة وأوائل الشهور القمرية وأسباب الاختلاف في تحديد بداية الشهر الهجري، والحساب الفلكي لمحاق القمر وولادة الهلال، واعتماد الاقتران المركزي بدلاً من الاقتران السطحي في حسابات بعض الدول لتقاويمها، والاختلاف في تحديد يوم المراقبة، و آراء علماء الإسلام في تحديد بدايات الأشهر القمرية، وطريقة إثبات الشهر بالرؤية أو الحساب، وتحديد الشهر بالإهلال أم بالاقتران، وتعريف الهلال فلكيا والمعلومات التي تؤخذ بنظر الاعتبار عند مراقبة الهلال، والقرار الفقهي الإسلامي والحساب الفلكي والمعايير الخاصة برؤية الهلال (في الأصالة والمعاصرة)، و طرق تحديد بداية أشهر رمضان وشوال وذي الحجة لدى بعض الدول الإسلامية، والشروط الفلكية لرصد الأهلة، والعوامل التي يعتمدها الفلكيون لرؤية الهلال، وأسباب الخطأ في رؤية الهلال، و يوم المراقبة ورؤية الهلال الوليد، و الرؤية فلكياً وشرعياً.

أما الفصل الرابع من الجزء الأول فيشتمل على محاور تبحث في مواقيت الصلاة واتجاه القبلة في القرآن الكريم وفي الحساب الفلكي، والصلاة ومواقيتها في الشريعة الإسلامية والحساب الفلكي، والقبلة واتجاهها في القرآن الكريم وفي الفلك، والكعبة المشرفة جغرافياً وهندسياً وفلكياً.

ويبحث الفصل الخامس في الشمس والقمر والاقتران بينهما في القرآن الكريم وفي المجموعة الشمسية، وفي لفظي الشمس والقمر في القرآن الكريم ومدلولهما الفيزيائي الفلكي، وفي الاقتران العلمي الفيزيائي الفلكي ودلالاته الخاصة في القرآن الكريم (الليل والنهار)، كما يبحث في خصائص القمر والشمس، ويبحث المؤلف في الفصل السادس من كتابه في التعبير بالسماء والسماوات وتمدد الكون ومستقبله "قرآنياً وفلكياً"، وفي التماثل الكوني في القرآن الكريم، لينظر بعد ذلك وفي الفصل السابع في بعض الظواهر الفلكية المهمة (في القرآن وفي الكون)، من حيث الميزان في القرآن الكريم وفي الكون الوسيع و حركة وسرعة ومواقع النجوم في القرآن الكريم وفي الكون، أما في الفصل الثامن والأخير من الجزء الأول من الكتاب فيبحث في الكوكبات النجمية والأبراج ومحتواها من النجوم المرئية حسب أشكالها في السماء، من حيث مواقع النجوم شكلاً (ظاهرياً)، الأبراج وما مناطقها وتأثيرها على الإنسان؟ و ألوان النجوم وأطيافها وأعمارها والمادة بينها.

أما الجزء الثاني من الكتاب فيشتمل الفصل التاسع وهو الأول فيه على محور الحياة في الكون من حيث احتمالية الحياة في أراضي كونية أخرى، و الأرصاد الفلكية الفضائية الحديثة لكواكب مشابهة للأرض، و الدراسات النظرية البحتة عن احتمالات وجود الحياة في المجرة وفي الكون، ويضم الفصل العاشر موضوعات حول الكون وأجرامه السماوية (المجرات والنجوم والكواكب...) في سياق آيات مختلفة، و الآية أو الآيات: ما نبصره وما لا نبصره فيهما، و الأجزاء في محتوى الكون وآيات في علوم الفلك والفيزياء الفلكية، ويتناول الفصل الحادي عشر الكلمات القرآنية (من العمق المعرفي الشامل إلى البعد العلمي المخصوص) الكونية من حيث المعرفة العلمية عامة والكونية خاصة، و"علم الإنسان ما لم يعلم" في العلوم الكونية، و العلاقة القرآنية والفلكية بين (الكرسي والعرش والسموات والأرض)، و العودة إلى الأرض في ظل بعض الآيات القرآنية الكريمة، وفي الأرض آيات للموقنين، والمشارق والمغارب في القرآن الكريم وفي الفلك، و العلاقة بين السحاب والمطر. ويضم الفصل الثاني عشر قسم الله سبحانه بأجرام سماوية وظواهر كونية فلكية مهمة، القسم بالشمس والقمر والليل والنهار، والشفق وأنواعه، والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب، ومواقع النجوم وحركاتها، والأشعة والقوى الكونية المرئية وغير المرئية، والنجوم الميتة (الطارق والخنس)، والنجوم الطوارق والثواقب، و النجوم الخنس (الميتة الخافتة)، و يوم القيامة وبدء الخلق وانتهاؤه. ويبحث في الفصل الثالث عشر في الإسراء والمعراج تأريخياً وشرعياً وفيزيائياً وفلكياً كونياً، وفي الفصل الرابع عشر يبحث في الكون وحجمه ومحتواه بالأرقام والصور، من حيث وحدات القياس الفلكية، وفي رحلة فضائية داخل المجموعة الشمسية ثم في المجرة ثم في الكون الوسيع، ويجري مقارنة الكواكب بعضها مع بعض ومع الشمس، والشمس مع النجوم، والمادة بين النجوم والمجرات والمادة المظلمة المنتشرة في الكون، و الجسيمات الكونية المتناهية في الصغر، وولادة الكون ونهايته (الفتق و الرتق)، و الأكوان المتعددة (السماوات السبع ).